الرجل العادل

بقلم الاستاذ عبدالفتاح السرنجاوى

أستاذ الآداب بالمعهد الأزهرى

جلس القضاة للنظام فى قاعة الحق والعدالة، ووقف أمامهم خصمان، يتهم أحدهما الآخر بالعيب فيه والاجتراء عليه، ويدلى بالبراهين ويسوق الأدلة وأخيراً انبرى واحد من القضاة وقال مخاطبه :

— « كفى أيها الرجل فقد آمنا بحقك ونحن لابد نأخذه لك من خصمك وننصرك عليه، ونعاقبه على ما جنت يداه العقاب الغليظ »

— كلا أيها القاضى، ليس هذا أوان العقاب

— بل هذا أوانه، فقد وقفنا على روايتك الصادقة

— نعم أيها القاضى وقفتم على روايتى، ولكنكم لم تقفوا على رواية خصمى، ولن يستقيم ميزان العدالة إلا إذا تحتم له بالدفاع عن نفسه »

ذلك مايقوله (أرستيد) ، فهو ينسى العداء والخصومة ، ويأبى إلا أن يستقيم ميزان العدالة ، هذا هو الرجل الذى يلقبه الأثينيون (بأبى العدالة) ، وهو لعمرى جدير بهذا اللقب ، بل إنه المثل الكامل للرجل العادل . . . إذاً فلنردد نحن فى القرن العشرين بعد الميلاد ما قاله الأثينيون فى القرن الخامس قبل الميلاد . . . . (أرستيد العادل) وليبق ذلك اللفظ السماوى الرهيب مقترناً باسم أرستيد إلى ما يشاء الله .

* * *

وحين هاجم الفرس بلاد الأغريق وخرج الأثينيون لقائهم فى (مراثون) تناوب الزعماء القيادة فكان يخرج كل منهم على رأس الأثينيين يوما ، فلما جاء يوم (أرستيد) تخلى عن حقه فى القيادة لقائد آخر أكفأ منه ، وقال فى ذلك كلمته الباقية على الزمان :

« إن خير أثينا وصالحها من وراء الانتصار لأحب إلى نفسى من إرضاء غرورى من وراء القيادة »

وتحت راية ذلك القائد الآخر كتب للأثينيين النصر المبين — أظنك أيها القارئ تؤمن معى بأن (أرستيد) كان عادلا ، بل كان مثلا كاملا للتضحية الشخصية فى سبيل الصالح العام .

والآن أسوق لك على سبيل الموازنة حكاية جندي أثيني من حملة المشاعل ، صادف فارسياً عقبيباً بعد المعركة ، وظن الفارسي أن (حامل المشعل) أمير خطير ، فركع وقدم الخضوع له ، وحاوز ذلك إلى إرشاد حامل المشعل إلى مكان كنز تحت خلفه الفرس من ورائهم ، فاحتفر الكنز فإذا كومة هائلة من الذهب ، وكان الفرس بعد هربهم قد تركوا الغنائم الكثيرة من خيام وملابس وفضة وذهب ، وأبقى الاغريق أرستيد للمحافظة على هذه الغنائم وانصرفوا هم لمطاردة فلول أعدائهم ، ذلك لاعتقادهم في أمانة الرجل ، وإعلامهم بأنه لا يطمع في شيء لنفسه ، ويقينهم بأنه سيوزع الغنائم على الأثينيين جميعاً .

وكان (حامل المشعل) يعلم أن الواجب الوطني يحتم عليه أن يقدم الذهب الذي أرشده إليه الفارسي لأرستيد ، كي يضمه إلى بقية الغنائم ، ولكنه نسي الواجب ، ونسي الوطن ، ونسي كل شيء إلا نصيبه من متاع هذه الدنيا ، والبلاء في الحياة إنما يسوقه الحرص والشره فقتل الفارسي واستحوذ على الذهب لنفسه ، وعز عليه أن يكون له شريك من بني وطنه .... ذلك الجندي الخائن يقف في قطب ، وأرستيد في القطب الآخر ، وأنت بالموازنة بينهما تدرك مقدار ما يضحي أرستيد في سبيل الصالح العام .

* * *

وأنت أيها القارىء لا شك عليم بأن الديموقراطية الأثينية بلغت أقصى حدود الفوضى فكان الدهماء يصوتون في شئون الحكم ، ويتقلدون عن طريق الاقتراع مناصب الدولة الكبيرة ، وحدث مرة أن رغب الأثينيون في نفي الأشخاص الذين تصوت الأغلبية بإبعادهم عن البلاد ، وأعدوا ليوم التصويت عدته ، فاجتمعوا في السوق العامة حيث أقيمت حلقة عليها حواجز ، يلقي الناس بأصواتهم فيها ، وكان كل واحد يكتب اسم الشخص الذي يرغب في إبعاده على قطعة من الخزف أو الصدف ، ثم يلقي بها في هذه الحلقة الحافلة بالحواجز ، وخرج أرستيد ليمضي روحاته وغدواته ، فلقيه في الطريق آتيني يحمل في يده قطعة من الصدف ، استوقفه وقال يخاطبه :

— هل تستطيع الكتابة ياسيدي ؟

— نعم أستطيع

— إذاً أرجوك أن تكتب لي على هذه القطعة اسم الرجل الذي أريد إبعاده من أثينا لأني لا أستطيع الكتابة

— لك ما تطلب وما اسم الرجل ؟؟

— اسمه أرستيد

— وهل أصابك ضر على يد أرستيد؟

— لا ، ولكن يضايقني أن أسمع الناس في كل وقت يلقبونه (العادل) ، والحقيقة يا سيدي ، أن هذا أدخل في روعي أن الرجل لا بد أن يكون مختالا فخوراً شامخاً بأنفه إلى السماء

وكتب أرستيد اسمه على قطعة الصدف وتركها بين يدي الرجل وانصرف لحاله ، وذهب الرجل إلى حيث ألقى بصوته .

ثم كانت عملية فرز الأصوات ، فإذا ستة آلاف قطعة تحمل اسم (أرستيد) ؛ ذلك لأن الكثيرين كانوا يعتقدون أن الرجل يبالغ في إحقاق الحق وإقرار العدالة ، فقد أصبح رجلا عتيقاً مثل جبلا انقضى ... !!

هكذا أنكرت أثينا رجلها العادل (أرستيد) ، وهكذا شاءت الديموقراطية الظالمة ! !!

تفرج الرجل وعيناه تفيضان بالدموع ! ! !

* * *

ولكن لم تلبث الحرب أن قامت من جديد ، وسير الفرس سفنهم لقتال الأغريق ، ورأى الأثينيون أنهم في حاجة إلى أرستيد ، يقودهم إلى ساحات الانتصار ، فرجع الرجل بعد ثلاث سنوات قضاها في الاغتراب والنفي ، وقاد الأساطيل في حرب بحرية هائلة انتصر فيها الأثينيون

كل هذا وأرستيد فوق ما اشتهر به من الأمانة والعدالة ، زاهد في مال الدولة ، قانع بما يسد رمقه ويبقي عياله ، بينما (حامل المشعل) الذي أثينا على ذكره يستمتع بما استحوذ عليه من ثروة هائلة ، فاتهمه بعض أعدائه بتهمة الخيانة للصالح العام ، وأسهبوا في تقبيح فعاله ، وألحوا عليه بالتعنيف ، فقالوا إنه من أقرباء أرستيد العادل ، وإنه على ثروة عظيمة ، ورفاهة بالغة ، ونعمة مقيمة ، بينما قريبه أرستيد لا يجد قوت يومه ويعيش وعياله في مسكن متواضع أليس من واجبه أن يمد إلى قريبه أرستيد يد المعونة ؟ ؟

ورأى القضاة أن يسألوا أرستيد ، فجيء به وسئل عن صحة ما عزاه الخصوم لقريبه حامل المشعل ، فأجاب أرستيد :

« لست أقر أيها القضاة شيئا من ذلك ، وقريبي لا جريرة له في فقري ، فأنا رجل أردت أن أكون فقيرا بمحض مشيئتي ، وإني لست أطلب ما يزيد على كفايتي ، وأؤكد لكم أني أجد مجدي وراحة ضميري في ثقتي وأمانتي وعدلي »

ولما مات (أرستيد) لم يخلف مالا للإنفاق على مأتمه ، ذلك رغم أنه كان قائداً للجيش وأميرا للبحر ، ومشرعاً للدولة الأثينية ، فاكتتب الأثينيون بمال أنفقوا منه على مأتمه ،

وأقاموا له نصبا يخلد ذكره ، ومنحوا بناته مالا يصاحبن به أمرهن ، وأقطعوا ابنه أرضا كثيرة الشجر والثمر ، وأمدوه بقدر كبير من الفضة ، وبقى أرستيد بعد موته علما فى تاريخ قومه ، وموضعاً لفخارهم واعتزازهم ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

عبد الفتاح السيد مجاوى

الطبيعة

نشر الظلام على القرية ظلاله الكثيفة . فخفت الحركة وسكن المكان . اللهم إلا أصوات صدرت من فم الطبيعة ترتل بها أناشيد السرور باستقبال ملاك الليل الصامت .

الضفادع من جداول الماء تدق ، وأوراق الأشجار تداعبها نسمات الليل : فترقص وتصفق . والطيور فوق الأفنان تصيح وتغرد ، بينما الفلاح قد أزاح عن كتفيه رداء عمل النهار المتعب . وسار يخطو متثاقلا إلى داره يترنم بأغنيات ساذجة نقية لا تصدر إلا من قلوب خلت من الهموم وبعدت عن الأحزان .

ولا غرو فهى أفئدة الفلاحين التى لم تدنسها أوضار المدنية الكاذبة ولم تصل إليها شرورها ومفاسدها . خفتت الأصوات ونامت الطيور وسكب الليل مداده الأسود على صفحة النهار البيضاء . فغمرها ولم يبق إلا وسوسة نسيم الليل المنعش وهو يهمس فى الآذان قائلا : قم يابن آدم ومتع النفس بجمال خلق الله .

هذا هو الحال حين كنت أنا وصديق لى نركب طريقا منفردا عن القرية يؤدى إلى حيث الخلاء الهادىء والسكون الشامل . فنتخذ من الهدوء قيثارة نضرب على أوتارها بأقواس الخيال وتسبح بعقولنا فى ميدان الطبيعة الواسع ونتخذ من تلك السعة صفحات نخط عليها مناجاتنا للطبيعة

أيتها الطبيعة : سرك فى جمالك . حسنك فى دلالك . عظمتك فى جبالك . قوتك فى خلالك
خالدة أبد العصور

أنت تبكين وتضحكين . أنت تحيين وتحنين . أنت تظلمين وتنيرين . أنت سلوة المحبين
فاظهرى آى النور

إخلعى ثوب الظلام . بددى هذا الغمام . وانشرى نور السلام . ودعى الناس نيام
وابعدى عنا العناء   واشملينا بالحبور

حقا كانت الطبيعة فى أحسن رداء يمكن أن ترتديه وفى أفتن حلة يمكنها أن تتزين بها . هى الطبيعة التى صقلت عقول الشعراء فنظموا لنا أوصافها شعرا وهى التى أوحت إلى (بتهوفن) بأنغام شجية تسلب عقول الآدميين ، وتسرى فى أجسادهم سريان تيار الحب فى قلوبهم . وهى تلك الأرجوزة القديمة التى نرددها وسنظل نرددها حتى انتهاء الأجل ؟

عبد الحليم عبد الباقى
مدرس بمدرسة جلالة الملك بالمنيا